بازل في سويسرا العام ١٨٩٧، لتواصل السير في هذا الاتجاه.

وجدير بالملاحظة ان الصهيونية الدينية التي اعتنقها «احباء صهيون» لم تصطدم، ابداً، بمعارضة السكان العرب المحليين، لانهم يعتبرون انفسهم، كذلك، منتمين الى ذرية ابراهيم وعقيدته، هذا بالاضافة الى انها كانت بعيدة عن اي برنامج سياسي يستهدف خلق دولة يهودية في فلسطين بعكس الصهيونية السياسية التي تم انشاؤها وتثبيتها على يد هرتسل في مؤتمر بازل، والتي نادت بانشاء دولة يهودية تحت غطاء انشاء «وطن قومي» في فلسطين.

لذلك فاننا سنتناول مسالة الهجرة اليهودية باعتبارها المنهج الوحيد لخلق قوة بشرية قادرة على تنفيذ المشاريع الصهيونية في البلاد. وتسهيلاً لفهم وادراك تحولاتها وتبدلاتها وقوة اندفاعها، فاننا سنقوم بتقسيم المسيرة اليهودية الى فلسطين الى ثلاث مراحل. الاولى تبدأ منذ العام ١٨٨٢ وتنتهي باعلان قيام الدولة اليهودية، والثانية تبدأ منذ انشاء الدولة حتى حرب العام ١٩٦٧، والثالثة تبدأ من فترة احتلال بقية فلسطين حتى وقتنا الحاضر.

المرحلة الاولى

أخذ الوجود الصهيوني في فلسطين، منذ بداية الهجرة المنظمة والاستعمار الزراعي حتى نهاية الحرب العالمية الاولى ومطلع الانتداب، بالنمو والتطور على نحو سريع جداً. ففي سنة ١٩١٤، بلغ عدد سكان فلسطين، استناداً الى المصادر التركية، نحو ٦٨٩٢٧٥ نسمة، بينما ارتفع عدد اليهود من ٢٣ الف نسمة تقريباً سنة ١٨٨٢ الى نحو ٨٥ الفاً عند بدء الحرب العالمية الاولى (١٩١٤). وقد جاءت هذه الزيادة بفعل الهجرة اليهودية من بلدان اوروبا الشرقية، تضاف اليها الزيادة الطبيعية في نمو السكان. وفي اثناء الحرب انخفض عدد اليهود ٤٠ بالمئة تقريباً، فاصبحوا، عند نهايتها، حوالى ٦٥ الفاً[٣١].

وتبعاً لارتفاع نسبة المهاجرين الى فلسطين عن نسبة النازحين عنها، ازداد عدد اليهود في البلاد فبلغ في العام ١٩٢٢، حسب احصاء حكومة الانتداب، ٨٣٧٩٠ نسمة من مجموع السكان البالغ آنذاك ٧٢٥٠٤٨ نسمة، أي بنسبة ١١ بالمئة تقريباً. وكان العدد الاكبر بين المهاجرين في تلك الفترة من العمال والنساء، يليهم اصحاب رؤوس الاموال او الايراد الثابت وعائلاتهم، ثم رجال الدين وعائلاتهم[٣٢]. وخلال الفترة الممتدة ما بين الأعوام ١٩٢٤ ـ ١٩٣١ شهدت فلسطين الموجة الرابعة للهجرة التي شكلت، في معظمها، من يهود الطبقة الوسطى والراسماليين في بولونيا الذين دفعتهم الأزمة الاقتصادية الى المغادرة.

ويشير احصاء اجرته حكومة الانتداب، في نهاية تلك الفترة، الى ان مجموع عدد السكان في فلسطين، في العام ١٩٣١، قد بلغ ١٠٣٥٨٢١ نسمة بينهم ١٧٤٦١٠ نسمة من اليهود، اي ١٦,٩ بالمئة. ويلاحظ هنا ان نسبة اليهود في فلسطين ارتفعت من ٨ بالمئة في العام ١٩١٤ الى ١١ بالمئة العام ١٩٢٢ الى ان بلغت ١٦,٩ بالمئة في العام ١٩٣١[٣٣].

وفي السنوات ١٩٣٢ ـ ١٩٣٦ بدأت الموجة الخامسة، وكانت هجرة مكثفة تواصلت حتى العام ١٩٣٩. ويعتبر العام ١٩٣٥ اكثرها تميزاً في هذا المجال. فخلاله هاجر الى فلسطين ٦١٨٥٤ يهودياً، وهو اكبر عدد يصل في عام واحد في تاريخ البلاد. وفيه، ايضاً، ارتفع معدل راس المال اليهودي الوارد مع المهاجرين، من فئة الراسماليين، قرابة ستة ملايين من الجنيهات الاسترلينية: وبلغ مجموع اليهود في فلسطين ٢٧٥ الفاً وشكلوا نسبة ٢٩.٨